مناهج التفسير لدي أهل البيت

تحسين البدرى*

المقدّمة:

إن التفسير من أهم ما وردنا عن أهل البيت :، وحجم تركتهم فى هذا المجال تقدّر بآلاف الصفحات، ونسبته إلى باقى تركة أهل البيت نسبة كبيرة، ما يعنى أنّ دراسته تحظي بأهميّة كبيرة؛ باعتباره يشكّل مادّة ضخمة من المواد التى ينبغى دراستها للوقوف علي المنهج الذى اعتمدته العترة، وتأسّس علي أساسه المذهب المعروف باسمهم.

إنّ دراسة الآثار المزبورة لا تقتصر أهميّتها علي حجمها، بل موضوعها ـ وهو القرآن الكريم ـ أهمّ ما يمكن دراسته عن الإسلام عموماً، فهو يشكّل النص الأساس لهذا الدين والدستور العام لعشرات المذاهب الإسلاميّة ولأكثر من مليار إنسان يعيش حالياً، وأضعاف مضاعفة من البشر سبق وأن عاشوا متّبعين هذا المنهج خلال خمسة عشر قرناً.

تعتبر دراسة التفسير المأثور عن أهل البيت ذات أبعاد كثيرة، ويمكن معالجته من نواحٍ كثيرة، من قبيل: المنهج والمسائل التربويّة والمسائل الفقهيّة وكثير غيرها، لكن ما نتوخّي دراسته هنا هو تحديد المناهج التى اعتمدوها فى تفسيرهم، ومقارنتها مع المناهج المعتمدة من قبل باقى المفسّرين، ووجوه التمايز بين مناهج الطرفين.

ومن الجوانب التى يمكن دراستها هو جانب سند الروايات، لكنّا بنينا هنا علي صحّة صدور هذه الروايات عن أهل البيت، لا اعتقاداً بالصحّة، بل تخصيصاً للدراسة بنصوص الروايات. أمّا أسانيدها، فبحاجة إلى دراسات مستقلّة.

---

* باحث و كاتب فى علوم القرآن.

الفصل الأوّل

المنهج لغةً واصطلاحاً

المنهج لغةً:

يقول الفراهيدى: «طريقٌ نهجٌ: واسعٌ واضح، وطُرُقٌ نُهجةٌ. ونَهَجَ الأمرُ وانتهج ـ لغتان ـ أى: وضح. ومِنْهج الطريق: وَضَحه. والمِنهاج: الطريق الواضح».[١]

ويقول ابن دريد: «النّهج: الطريق الواضح، والجمع نُهوج ومناهج».[٢]

المنهج اصطلاحاً:

عرف الدكتور محمّد محمّد بالروين المنهج بالنحو التالى: «هو الوسيلة التى نستعملها للوصول لمعرفة تتعلّق بموضوع».[٣]

وعلي العموم يراد من المنهج: الطريقة التى تستخدم فى البحث العلمى، وتقسّم المناهج إلى قسمين:

القسم ايوّل: العامّة، مثل القياس والاستقراء؛ فإنّها مناهج لا تستغنى عنها العلوم والباحث فيها، مهما كانت موضوعاتها، علميّة أو إنسانيّة.

القسم الثانى: الخاصّة، ويراد منها: الطرق التى يستفاد منها فى البحوث العلميّة لعلمٍ أو موضوعٍ خاص، وتكون ذات نطاق ضيّق خاص بالعلم أو الموضوع الخاص، وتختلف باختلاف العلوم؛ فالتجربة ـ مثلاً ـ تعتبر من المناهج المعتمدة فى العلوم التجريبيّة، مثل الكيمياء، لكنّها غير معتمدة فى الفلسفة.

وفيما يخصّ التفسير بوصفه علماً، فقد عرّف الدكتور محمّد على رضائى منهج التفسير بقوله: «هو الاستفادة من الوسائل والمصادر الخاصّة فى تفسير القرآن، والتى يمكن من

خلالها تبيين معنى ومقصود الآية، والحصول علي نتائج مشخّصة».[٤]

وعليه، يكون المنهج وسيلة أو مصدراً خاصّاً يعتمده المفسّر فى تفسيره للقرآن، فقد يكون ما أثر عن النبي أو أهل البيت أو الصحابة، وقد يكون العقل، وقد يكون أموراً أخري، كما سنري ذلك فى الفصل القادم.

الفصل الثانى

المناهج التفسيريّة

المناهج التفسيريّة لدي المفسّرين:

بعد مرور ألف وأربعمائة عام علي بداية تفسير القرآن، مرَّ التفسير بمراحل غير قليلة، واستخدم فى سبيل تفسير هذا الكتاب مناهج كثيرة، يمكن تقسيمها باعتبارات متعدّدة. والمصادر التى تناولت دراسة مناهج المفسّرين منذ القرن الأوّل من الهجرة وحتى الآن غير قليلة، كما إنّ الذين كتبوا فى مجال المناهج اختلفوا فى التسميات؛ فبعضٌ أطلق مصطلح (لون) علي بعض المناهج، وبعض (أسلوب) وقد يكون هناك اصطلاحات أخري مستخدمة فى هذا المجال، والجميع يشير إلى معنى واحد.

ما نتناوله هنا هو أهمّ المناهج وأشهرها، والتى هى ذات صلة بموضوع بحثنا، وهو الكشف عن المناهج المستخدمة من قبل أهل البيت فى تفسيرهم. وفى هذا المجال ذكرنا ثمانية مناهج، ونترك مناهج أخري لا نري لها مجالاً فى أصل موضوع بحثنا، من قبيل التفسير الترتيبى والتفسير الموضوعى، والتفسير الجامع والتفسير الجزئى، وهى قد تسمّي مناهج فى التفسير أيضاً، لكنّ مجالها هو التفاسير المدوّنة من قبل المفسّرين فى قالب كتاب، أى إنّها مناهج للتدوين أكثر من أن تكون مناهج للتفسير، لذلك لا مجال لها فى تفسير أهل البيت :، الذين لم يدوّنوا تفاسيرهم ككتب وأصول، بل أثرناها عنهم كروايات وأحاديث.

من جانب آخر، هناك من قسّم كلاً من المناهج التى ذكرها إلى محضة وغير محضة،[٥] فى إشارة له إلى أنّ المفسّر قد يستخدم أحد المناهج ويعتمده فى التفسير دون استخدام منهج آخر، وقد يجمع بين المنهج ومناهج أخري، وهو تقسيم لا بأس به، لكنّا تركناه للسبب المتقّدم، أى كونه ناظراً إلى ما دوّن من تفاسير، وهو خارج عن نطاق التفسير الذى نتوخّي دراسته.

المنهج الآول: منهج تفسير القرآن بالقرآن:

وهو منهج يعتمد القرآن ذاته لتفسير القرآن، وتعود جذوره إلى الرسول (ص) وبعض الصحابة والأئمّة المعصومين :. وهناك روايات وردت عمّن ذكرنا تؤيّد أنّهم كانوا يستخدمون هذا المنهج فى التفسير، ويعدّ هذا من أقسام التفسير المنقول.

والاخر هو التفسير الروائى، كما يعدّ أقدم منهج مستخدم، وقد لاقي حتى الآن اقبالاً شديداً من قبل المفسّرين إلاّ النزر اليسير، من قبيل الأخباريّين الذين قالوا بعدم حجيّة ظاهر القرآن إلاّ إذا وافقة الروايات الواردة عن طرق أهل البيت :.

وقد دوّنت بناءً عليه الكثير من التفاسير، سواءٌ الواردة عن أهل السنة أم الشيعة، بل جلّ التفاسير تدّعى اعتمادها هذا المنهج فى التفسير.[٦]

المنهج الثانى: منهج التفسير الروائى:

وهو المنهج الذى يسعي للاعتماد علي الروايات المنقولة عن الرسول (ص) وأهل بيته : أو الصحابة لتفسير آيات القرآن.

وهو من أقسام التفسير المأثور، وتعود جذوره إلى عهد الرسول (ص)؛ باعتباره أوّل

مفسّر للقرآن، وكان ولا يزال ممّا يستخدمه المفسّرون ويحظي باهتمامهم البالغ، غاية ما هنالك أنه قد يشكّك بصدور بعض الروايات التفسيريّة ويكذّب بعضها، أمّا نفس المنهج فلا شكّ في فاعليّته وحجيّته.

وقد دوّن الشيعة ـ بناءً علي هذا المنهج ـ الكثير من التفاسير، مثل تفسير (العياشي) و(القمي) و(نور الثقلين) و(البرهان)، كما دوّن أهل السنّة تفاسير بناءً علي هذا المنهج، مثل (الدر المنثور).[٧]

المنهج الثالث: منهج التفسير العقلي والاجتهادي:

وهو منهج يعتمد العقل في تفسير الآيات أكثر من اعتماده الأثر، وبعبارة أخري: الاستفادة من القرائن العقليّة لتفسير وإيضاح آي القرآن.

وهناك اصطلاح آخر يرادف البعض بينه وبين اصطلاح هذا المنهج، وهو التفسير بالرأي فقد رأي البعض أنّ التفسير العقلي هو عينه التفسير بالرأي المذموم، ولا يرتضيه أحدٌ من المفسرين، إلاّ أنّ هذا يبدو خلطاً؛ فإنّ المراد من التفسير بالرأي هو التفسير الذي لا يعتمد القرائن القطعيّة المقبولة عقليّاً، بل يعتمد الأهواء والرغبات وما شابه، بينما المفروض في التفسير العقلي اعتماده قرائن معتبرة، فهو مقبول ما دام العقل مقبولاً بوصفه آليّةً للمعرفة البشريّة.

ذكر أتباع هذا المنهج أدلّة علي حجيّته من القرآن والسنّة وبناء العقلاء والاعتبار؛ فانّ الآيات التي دعت إلى التفكر والتدبّر في آيات القرآن، تؤيّد بنحو غير مباشر التفسير العقلي، وإلاّ خلت آيات من هذا القبيل عن محتواها، كما إنّ هناك روايات دعت العقل بالحجّة الباطنة في قبال الحجّة الظاهرة، وهي الرسل، وهذا يعني إضفاء الحجيّة للعقل في

ممارسة وظائفه، مضافاً إلى أنَّ سيرة العقلاء هى اعتماد العقل وقرائنه ـ من قبيل الظـاهر ـ فى تفسير الكلام من أىٍّ صدر، دون اختصاص بالمتكلّم العرفى وغير كلام الله. ويضاف إلى هذا كلّ قلّة الروايات التى فسّرت القرآن، ما يعنى ترك الجزء الأكبر من القرآن دون تفسير ودون استخدام وفاعليّة.

أمّا الروايات التى ذمّت إعمال العقل فى الأمور الدينيّة أو حصرت التفسير بالأثر، فهـى فى الحقيقة ناظرة إلى التفسير بالرأى المذموم، وغير ناظرة إلى التفسير العقلى.

يبدو أنَّ أكثر المفسّرين ـ باستثناء مثل الأخباريين ـ اعتمدوا منهجاً من هذا القبيـل فى تفاسيرهم، وحتى أولئك الذين خالفوا هذا المنهج نظريّاً، فإنّهم عمليّاً مارسـوا هـذا المنـهج وأعملوا العقل فى تفسيرهم، وهم غير مستغنين عنه أبداً.[٨]

المنهج الرابع: منهج التفسير العلمى:

وهو منهج تفسيرى سعي لاستخراج العلوم الطبيعيّة أو الإنسانيّة من آيـات القـرآن، أو تطبيق الآيات عليها، أو تفسيرها بما ينسجم معها.

ولهذا المنهج اتّجاهات متطرّفة سعت لاستخراج جميع العلوم منه بناءً علي مثل الآية القائلة: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [٩]، كما ذهب إلى ذلك أبو حامد الغزالى، وهو مرفوض بالتمام؛ لأنَّ من المسلّمات كون القرآن لا يحتوي على جميع العلوم البشريّة، وليس من شأنه ذلك.

وقد يكون هناك من يري عدم إمكانيّة تطابق التفسير العلمى مع القرآن، ويفرض نـوع تصادم بينهما، وهو رأى خاطيء قطعاً؛ فإنّ القرآن لا يتضمّن ما يخالف العلم، وما ورد فيه منسجم معه.

والرأى الصائب فى هذا المجال هو الرأى القائل بأنّ فى القران آيات تضمّنت إشارات إلى بعض القضايا والقواعد العلميّة، وقد يكشف بعضها عن إعجاز هذا الكتاب باعتبار سبق إشارته إلى قضيّة علميّة لم تكتشف من ذى قبل. هذا مع أنّ آيات القرآن جميعها منسجمة مع الاكتشافات العلميّة، ولا تعارض بين الأمرين.

ويرجع البعض التفاسير العلميّة فى بداياتها إلى الشيخ الرئيس ابن سينا؛ حيث فسّر العرش بالفلك التاسع فى هيئة بطليموس. وقد لاقي فى القرنين الأخيرين زخماً شديداً، دخل فيه بعض علماء العلوم الماديّة، وكتبوا الكثير فى هذا المجال، وبالغوا فى تفاسيرهم العلميّة، بحيث يبدو منهم أنّ الكثير من الاكتشافات العلميّة الحاصلة مؤخّراً قد أشار إليها القرآن من قبل ألف سنة، ما جعلهم عرضة لاعتراضات بعض علماء الدين، وبخاصة أنّهم غالباً ما يكونون من مخريجى أكاديميّات العلوم الماديّة ولم يتلقّوا دراسات فى العلوم الدينيّة.

ولا تخلو التفاسير الجامعة من المنهج العلمى غير المتطرّف، وهو أمر طبيعى؛ باعتبار أنّ القرآن لا يخلو من إشارات علميّة عرضها علي مخاطبيه لمناسبة أو أخري، وتشكّل موضع أعجاب كلّ مطالع وقاريء للقرآن.

من أهم ما دوّن معتمداً هذا المنهج هو: (كشف الأسرار النورانيّة القرآنيّة فيما يتعلّق بالأجرام السماويّة والأرضيّة والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنيّة) للطبيب الفاضل محمّد بن أحمد الإسكندرانى، و (الجواهر فى تفسير القرآن) للشيخ الطنطاوي و (التفسير الفريد) للفقيه محمّد عبد المنعم الجمّال.

وممّا يذكر هنا أنّ مثل الشيخ خالد العكّ صنّف هذا النوع من التفسير ضمن التفسير الإشارى؛ معتبراً إيّاه تفسيراً لا يدخل ضمن إطار التفسير العقلى الاجتهادي؛ لأنّه يقوم أصلاً علي شرح وإيضاح الإشارات العلميّة فى القرآن.[١٠]

المنهج الخامس: منهج التفسير الإشاري أو الرمزي:

وهو منهج يعتمد مبدأ وجود إشارات فى آيات القرآن تدلّ علي معانٍ باطنيّة عميقة تتجاوز المعانى الظاهريّة.

يعود تاريخ هذا المنهج إلى الرسول (ص) والأئمّة المعصومين ؛ حيث أكدوا وجود ظواهر وبواطن للقرآن، بل فى حديث عن الصادق (ع): «إنّ كتاب الله عزّ وجلّ علي أربعة أشياء: علي العبارة والإشارة واللطائف والحقائق؛ فالعبارة للعوام، والاشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء».[١١]

لكنّ هذا المبدأ أصبح ذريعة لبعض الطوائف لأن تؤوّل القرآن بما لا دليل عليه، فصدرت منهم تأويلات لا يرتضيها العقل، يصفها بعض العلماء بالانحراف.

من الأقسام المعروفة لهذا المنهج هو المنهج الإشارى الصوفى، والمنهج الإشارى الشهودى. ويراد من الأوّل: المنهج الذى يعتمد مباديء الصوفيّة النظريّة، والمراد من الثانى: المنهج الذى يعتمد مناهج مدرسة الإشراق والشهود. علي أنّ المؤلّفين فى هذا المجال اختلفوا فى تعريف هذه المناهج والقائلين بها، وأقسامها، ولم نجد الاتّفاق علي ذلك فيما بينهم.

وتتوقّف صحّة هذا المنهج علي صحّة المباديء المعتمدة فيه، فإن كانت مقبولة ـ كالعرفانيّة التى أقرّها الإسلام ـ فلا شكّ فى صحّتها، وإن كانت مرفوضة ـ كالصوفيّة فى بعض مذاهبها ـ فهى مرفوضة دون شك.[١٢]

المنهج السادس: منهج التفسير الأدبى الاجتماعى:

وهو منهج حديث يمتاز بالابتعاد عن المناهج التقليديّة للتفسير وبحوثه الخالية عن الفائدة العصريّة، ويسعي لبيان معانى القرآن ومفاهيمه الدقيقة بأسلوب أدبى شيّق، ثم تطبّق

نصوصه ذات المفاهيم المزبورة علي سنن الحياة الاجتماعيّة، والخروج بنتائج عمليّة منسجمة مع تطلّعات الإنسان فى العصر الحديث؛ فهو فى الحقيقة يمزج سلاسة التعبير بتطبيقات عصريّة، سعياً نحو فهم القرآن وتنزيل مفاهيمه إلى طبقات المجتمع المختلفة.

ويعتبر الشيخ محمّد عبده رائداً لهذا المنهج، ونحا منحاه الشيخ محمّد مصطفى المراغى وسيّد قطب والشيخ محمّد جواد مغنية والسيّد محمّد حسين فضل الله، بل يري الشيخ محمّد هادى معرفة أنَّ جلّ التفاسير المدوّنة فى العصر الحاضر ـ من قبيل تفسير الميزان ـ قد دوّنت مستخدمة هذا المنهج ضمن المناهج الأخري التى اعتمدتها، لكنّه لم يسمّه منهجاً، بل لوناً من ألوان التفسير، كما اعتبر توظيف العقل وإطلاق العنان له، ووقوفه أمام الروايات الضعيفة والموضوعة من أهمّ امتيازات هذا اللون.[١٣]

المنهج السابع: منهج التفسير بالرأى:

وهو فى الحقيقة ليس منهجاً خاصّاً، بل يطلق علي كلّ تفسير لم يعتمد المناهج الممضاة والمقرّرة؛ فهو عنوان شامل لكلّ تفسير تخطّي القواعد والمباديء المقبولة فى التفسير، فيشمل بعض التفاسير الاجتهاديّة والعلميّة وبعض التفاسير الإشاريّة وما شابه ذلك.

لقد وردت الكثير من الروايات ـ سواء عن الشيعة أم السنّة ـ ذامّة الرأى والعمل وفقه وإعماله فى المجالات الدينيّة، تفسيريّة كانت أم غير ذلك، ونفس مفردة الرأى ذات معنى سلبى فى قاموس الثقافة الدينيّة، لكنّها اكتسبت معانى إيجابيّة فى العهود الأخيرة، حيث ميّز الكثير من العلماء بين الرأى الباطل المذموم والرأى غير المذموم، والأخير هو الذى يعتمد المباديء الصحيحة، والأوّل هو الذى نظرت إليه الشريعة وأطلقت حكمها تجاهه.[١٤]

المنهج الثامن: منهج التفسير التركيبى:

المنهج التركيبى هو الذى يستخدم المناهج المعتبرة المتقدّمة، كلاً حسب مورده. وبناءً عليه، قد يستخدم المفسّر المنهج الاجتهادى لتفسير آية ما، ويستخدم المنهج العلمى لتفسير الإشارات العلميّة، ويستخدم المنهج الأثرى للآيات ذات الأبعاد الوحيانيّة المحضة، وهكذا.

وقد يستخدم مناهج متعدّدة لتفسير آية واحدة، بأن يقول: إنّ تفسير الآية بناءً علي المنهج العلمى يكون هكذا، وبناءً علي المنهج الأثرى يكون هكذا...

وهذا المنهج هو المستخدم من قبل أكثر المفسرين؛ فإنّهم لا يلتزمون بمنهج واحد للتفسير، بل ينوّعون فى استخدام المناهج، لكن يوجد القليل منهم انتهج منهجاً واحداً فى تفسيره، مثل أصحاب التفاسير بالمأثور أو بعض أصحاب التفاسير العلميّة المحضة.

لم يشر لهذا المنهج أكثر من كتَبَ فى مناهج التفاسير، وقد يكون ذلك لأجل أنّه لا يعدّ منهجاً بحدّ ذاته، بل مزيجاً لعدّة مناهج، واستخداماً لها فى مجالاتها، لكنّ البعض أشار إليه بوصفه منهجاً جامعاً، ويريد كونه جامعاً للمناهج المتقدمة.[١٥]

الفصل الثالث

المناهج التفسيريّة لدي أهل البيت :

شأن أهل البيت فى مجال التفسير شأن باقى المفسّرين فى أنّهم اعتمدوا مناهج خاصّة فى تفاسيرهم، وما نبغيه هنا هو التعرّف علي هذه المناهج، مع مقارنتها بالمناهج التى مضت والمعتمدة من قبل المفسّرين، فنتتبّع آثار كل من تلك المناهج فى المأثور من تفسيرهم:

الأوّل: منهج تفسير القرآن بالقرآن عند أهل البيت :

إنَّ مؤسّس هذا المنهج هو رسول الله (ص)، وقد اعتمده فى كثيرٍ من الروايات التى وردت عنه تفسيراً لبعض الآيات، وقد تنوّعت الروايات الواردة عن أهل البيت فى هذا المضمار[١٦]. وباعتبار سعة نطاق هذا المنهج، وشمول تعريف التفسير لمجالات قرآنيّة كثيرة، يمكن ذكر الموارد التالية التى وردت عن أهل البيت ضمن الموارد التى تدخل فى هذا المنهج:

١ ـ تحديد الناسخ والمنسوخ، كما هو الحال فى الرواية التالية:

عن زرارة بن أعين قال: سألت أبا جعفر (ع) عن قول الله عزّ وجلّ:﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[١٧] فقال: «هذه منسوخة بقوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾[١٨]

٢ ـ تحديد المحكمات والمتشابهات، وقد حدّد أهل البيت الكثير من متشابهات القرآن ومحكماته، بل فى بعضها طرحوا قاعدة كليّة وضابطة لتحديد المتشابهات والمحكمات، من قبيل الرواية التالية:

عن محمّد بن سالم، عن أبى جعفر (ع) قال: «إنّ أناساً تكلّموا فى هذا القرآن بغير علم، وذلك أنّ الله تبارك وتعالى يقول:﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ

ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۖ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [١٩].

فالمنسوخات من المتشابهات، والمحكمات من الناسخات، إنّ الله عزّ وجلّ بعث نوحاً إلى قومه: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ [٢٠]، ثمّ دعاهم إلى الله». [٢١]

٣ ـ إرجاع الآيات المتشابهة إلى الآيات المحكمة لتفسيرها، من قبيل الرواية التالية:

عن صفوان بن يحيى قال: سألني أبو قرّة المحدّث أن أدخله علي أبي الحسن الرضا (ع)، فاستأذنته في ذلك فأذن لي، فدخل عليه، فسأله عن الحلال والحرام والأحكام، حتّي بلغ سؤاله إلى التوحيد، فقال أبو قرّة: إنّا روينا أنّ الله قسّم الرؤية والكلام بين نبيّين، فقسّم الكلام لموسي ولمحمّد الرؤية، فقال أبو الحسن (ع): « فمن المبلّغ عن الله إلى الثقلين من الجنّ والإنس: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [٢٢]، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾[٢٣]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٢٤]، أليس محمّد»؟ قال: بلي، قال: «كيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنّه جاء من عند الله وأنّه يدعوهم إلى الله بأمر الله فيقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ و ﴿لَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ ثمّ يقول: أنا رأيته بعيني وأحطت به علماً وهو علي صورة البشر؟ أما تستحون؟ ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتي من عند الله بشيء، ثمّ يأتي بخلافه من وجه آخر»؟

قال أبو قرّة: فإنّه يقول:﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [٢٥]. يقول: ما كذب فؤاد محمّد ما رأت عيناه، ثمّ أخبر بما رأي، فقال:﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [٢٦]، فآيات الله غير الله، وقال: قال الله: ﴿لَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ فإذا رأته الأبصار فقد أحاطت به العلم ووقعت المعرفة». فقال أبو قرّة: فتكذّب بالروايات؟ فقال أبو الحسن (ع): «إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذّبتها، وما أجمع المسلمون عليه أنّه لا يحاط به علماً ولا تدركه الأبصار وليس كمثله شيء»؟[٢٧].

٤ ـ تحديد المطلق والمقيّد، كما في الرواية التالية:

عن الحلبي، عن أبي عبد الله (ع) في حديث قال: قلت له: قوله تعالى:﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾ [٢٨] فقال: «إنّما عنى النساء التي حرّم عليه في هذه الآية:﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [٢٩]

٥ ـ تحديد ترتيب نزول الآيات، كما في الرواية التالية:

عن عبد الرحمن، قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن قوله:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾ [٣٠]، قال:﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [٣١]، نزلت هذه بعد هذه». [٣٢]

٦ ـ تحديد الوجوه والنظائر، أى تحديد المعانى المختلفة لمفردة أو تركيب خاص (وهو ما يُدعي بالوجوه)، وتحديد المفردات والتراكيب المترادفة (وهو ما يدعي بالنظائر). وقد ورد عن أهل البيت موارد عديدة حدّدوا فيها وجوهاً ونظائر فى القرآن، منها الروايات التالية:

فى عيون الأخبار، فى باب ذكر مجلس الرضا (ع) عند المأمون مع أهل الملل والمقالات، وما أجاب به على بن جهم فى عصمة الأنبياء، بإسناده إلى أبى الصلت الهروى، قال: جمع المأمون لعلى بن موسي الرضا (ع) إلى أن حكي قوله (ع): «وأمّا قوله:﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [٣٣]، إنّما ظنّ به معنى استيقن أنّ الله لن يضيّق عليه رزقه، ألا تسمع قول الله عزّ وجلّ:﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ ﴾ [٣٤]، أى ضيّق عليه رزقه، ولو ظنّ أنّ الله لا يقدر عليه لكان قد كفر». [٣٥]

ملاحظة فى منهج تفسير القرآن بالقرآن:

إنّ استخدام هذا المنهج من قبل أهل البيت يكشف عن شرعيّته وأهميّته، وفى استخدامه

إرشاد للعلماء لاستخدامه لغرض تفسير الكتاب، غاية ما في الأمر أنّه نال شيئاً من التطرف، بحيث استغنى به البعض عن التفسير بالمأثور أو الروايات، وهذا ممّا يصعب استفادته من روايات أهل البيت، ولم يثبت عنهم، بل ربما لا يدّعى أحد ثبوته عنهم.

الثاني: منهج التفسير بالمأثور عند أهل البيت :

من المناهج التي استخدمها أهل البيت : في تفسير القرآن هو منهج التفسير بالمأثور، وقد تمثّل هذا المنهج في الأمور التالية:

ألامرالاول: نقل الأئمّة تفسير بعض الآيات عن الرسول، وهي موارد محدودة جداً. وهذا النقل قد يكون من قبيل التفسير غير المباشر لبعض الآيات، كما في الرواية التالية:

عن سليم بن القيس، عن أمير المؤمنين (ع) قال: «قال رسول الله (ص): إنّ الله حرم الجنّة علي كل فحّاش بذيّ قليل الحياء، لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه، فإن فتشته لم تجد إلاّ لغية أو شرك شيطان، قيل: يا رسول الله، وفي الناس شرك شيطان؟ فقال رسول الله (ص): أما تقرأ قول الله عزّ وجلّ:﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [٣٦]وقد يكون من قبيل استنادٍ لبعض الأحاديث الواردة عن الرسول ذات الصلة بتفسير الأية، من قبيل الرواية التالية: «.... حتى كان رسول الله (ص) هو الذي فسَّر ذلك لهم ونزلت:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ

وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [٣٧]، ونزلت فى على والحسن والحسين :، فقال رسول الله (ص) فى على: من كنت مولاه فهذا على مولاه، وقال: أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتى؛ فإنّى سألت الله عزّ وجلّ أن لا يفرّق بينهما حتّي يوردهما علىّ الحوض، فأعطانى ذلك، وقال: لا تعلموهم». [٣٨]

الامر الثانى: نقل كلٌّ منهم التفسير عن من سبقه من أئمّة أهل البيت، كما جاء ذلك فى الرواية التالية:

عن عمرو بن شمر، عن الصادق، عن أبيه ، قال: قال على بن الحسين فى قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ [٣٩]، قال: «العفو من غير عتاب». [٤٠]

الامر الثالث: لم يردنا عن أهل البيت نقلهم تفسيراً عن أحد الصحابة رغم أنّه وردنا عنهم النقل عن الصحابة فى أمور غير التفسير [٤١].

مصداقيّة التفسير بالمأثور لدي أهل البيت :

إنّ استخدام هذا المنهج فى التفسير من قبل أهل البيت يكشف ـ دون شك ـ عن مصداقيّة وصحّة هذا المنهج، وإلاّ لما استخدموه.

هذا من جانب. ومن جانب آخر، فإنَّ منهج التفسير بالمأثور منهج دارج فى التفسير عموماً ويقرّ به جميع المفسرين، إلاّ أنّ تلمُّذ الإمام على (ع) علي يد الرسول (ص) أضفي لهذا المنهج الوارد عن أهل البيت مصداقيّة أكثر؛ فإنَّ الكثير ممّا ورد عن الإمام على (ع) لا بدّ أن يكون قد تلقّاه عن الرسول (ص)، كما إنّ الأئمّة اللاحقين كلٌ قد تلقّي تفسيره وعلمه ممّن سبقه من الأئمّة.

هذا مضافاً إلى أنّ إقرار الأئمّة في الحديث المعروف: «... إنّا إذا حدّثنا قلنا: قال الله عزّ وجلّ وقال رسول الله»[٤٢]، ما يعني أنّهم ينقلون في أحاديثهم عن الرسول، حتى ما كانت تفسيراً للقرآن، كما يعني أنّ تفسيرهم ـ حتى ما كان محذوف الإسناد عن الرسول ـ هو تفسير عن الرسول في النهاية.

وشأن هذا المنهج شأن منهج تفسير القرآن بالقرآن من حيث إنّه نال شيئاً من الإفراط، بحيث عدّ من قبل بعض الأخباريّة التفسير المشروع الوحيد، مع أنّ هذا ممّا لا يمكن استفادته من مناهج أهل البيت التفسيريّة المتنوّعة.

ملاحظات في التفسير بالمأثور:

هناك بعض الشروط والمباديء تُذكر للتفسير بالمأثور:

منها: الإلمام بعلم الحديث لتمييز الصحيح عن السقيم، ومعرفة الناسخ والمنسوخ وما شابه هذه كلّها من مباديء التفسير بالمأثور.

ومنها: معرفة وجوه التعارض الحاصل بين الروايات، وعلي المفسّر السعي في حلّ التعارض من خلال معرفته بكيفيّة حلّه، وذلك من قبيل القول بالتخصيص أو التقييد ومعرفة أسباب الاختلاف، ما إذا كان ناشئاً عن اختلاف الموضوع أو المفهوم.

ومنها: معرفة أسباب الاختلاف ما إذا كان ناشئاً عن اختلاف الموضوع أو المفهوم.

والمعروف عن أهل البيت : أنّهم كثيراً ما ينقلون بواسطة السلسلة الذهبيّة، وقلّما نجدهم ينقلون عن غير أهل البيت وغير السلسلة الذهبيّة. والمعروف عنهم كذلك أنّهم نبّهوا كثيراً علي بعض الروايات الموضوعة، وحذّروا أصحابهم منها، رغم أنّ رواياتهم كذلك كانت ضحيّة لبعض الوضّاعين.

فهم ـ دون شك ـ قد تبحَّروا فى علوم الحديث والقرآن، ويميّزون بوضوح مواضع الاختلاف وأسبابه وما يحوم حوله من شؤون، بل هم فى أعلي مستوي من هذه الحيثيّة، ولا ريب فى تحقّق شروط هذه النمط من التفسير، بل هم فى أعلي مستوياته.

الثالث: منهج التفسير العلمى عند أهل البيت :

وردنا الكثير من الروايات التفسيرية ذات الطابع العلمى، والتى فسَّرت الآيات بالعقليّة العلميّة الحاكمة آنذاك، والمتناسبة مع تطوّر العلم فى ذلك الزمن، باعتبار أنّ أهل البيت كانوا آنذاك من علماء زمانهم، لا فى العلوم الدينية فحسب، بل فى كثير من العلوم الماديّة، وقد كان لهم الفضل فى تربية وإعداد علماء فى مجالات مختلفة، مثل ابن حيّان الذى اختصّ فى علم الكيمياء، وهذا يعنى أنَّ أهل البيت كانوا يستخدمون هذا المنهج فى التفسير.

الروايات التالية من ضمن الروايات التى تدخل فى إطار التفسير العلمى لأهل البيت:

١ ـ عن الحسين بن خالد، عن أبى الحسن الرضا (ع) قال: قلت له: أخبرنى عن قوله تعالى:﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ [٤٣]، فقال: «هى محبوكة إلى الأرض، وشبك بين أصابعه»، فقلت: كيف تكون محبوكة إلى الأرض والله يقول:﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [٤٤]، فقال: «سبحان الله! أليس يقول بغير عمد ترونها»؟ فقلت: بلي، فقال: «فثمّ عمد، ولكن لا ترونها...».[٤٥]

فالعمد التى تحدّث عنها الإمام لا بدّ أن تكون مجموعة القوانين التى تحكم بين الكواكب، مثل الجاذبيّة، والتى اكتشف الكثير منها فى العصر الحديث.

٢ ـ عن الحسن بن الجهم، قال: سمعت الرضا (ع) يقول: «قال أبو جعفر (ع): إنّ النطفة

تكون فى الرحم أربعين يوماً، ثمّ تصير عَلَقة أربعين يوماً، ثمّ تصير مضْغة أربعين يوماً، فإذا كمل أربعة أشهر بعث الله ملَكين خلاّقيْن، فيقولان: يا ربّ ما تخلق ذكراً أو أنثي؟ فيؤمران...».[٤٦]

وشأن هذه الرواية شأن باقى الروايات التى تناولت موضوعات علميّة وأجابت عن أسئلة ذات طابع علمى غير دينى، من قبيل الرواية التى سئل فيها الإمام الرضا (ع) عن طول الشمس والقمر، فيجيب بأنّ طولها تسع مئة فرسخ وعرضها كذلك.[٤٧]

ولا عجب أن نري بطلان النظريّات العلميّة التى أشير إليها فى هذه الروايات؛ وذلك لأنّ كثيراً من الأشياء تقاس بزمانها، ومن غير المنطقى أن يخاطب أهل البيت الناس ذلك الزمان بأمور لم يفهموها ولم تكتشف بعد، أو لم يتيسّر لهم إثباتها، وإلاّ لرُموا بالقول بأمور غير معقولة، وما شابه ذلك.

الملاحظ فى هذا المجال أنّه لا أحد من القدماء والمتقدّمين بل حتى الكثير من المتأخّرين، وبخاصّة الذين لهم مدوّنات فى التفسير المأثور، ومنهم الأخباريّون ـ قد نظر إلى هذه الروايات نظرة نقديّة، أو اعتبروها موضوعة أو إسرائيليّة وما شابه ذلك، بل تلقّوها بالقبول أو سكتوا عنها علي أقلّ تقدير، وهذا قد يكون لسببين:

السبب الاوّل: أنّها تعكس ما بلغه العلم فى تلك العهود، ولم يجدوا فيها تعارضاً مع العلم؛ فإنّ العلوم لم تنل التقدّم الملحوظ إلاّ فى القرون المتأخّرة وبعد الثورة العلميّة والصناعيّة التى حدثت فى أوروبا. ويضاف إلى ذلك أنّ المسلمين والعالم علي العموم لم يحظ بصلة وتواصل مطلوب فى تلك العهود مع أوروبا، ووسائل التواصل والنقل لم تبلغ المستوي الذى عليه الوضع حاليّاً.

السبب الثانى: أنّ أسلافنا العلماء ينظرون إلى الروايات نظرة مقدّسة وتعبُّديّة، بمعنى

أنّهم يرونها توقيفيّة لا يمكن النظر والتأمُّل فيها، وإذا كان هناك تعارض بينها وبين العلم يضرب العلم عرض الحائط.

لكنّ هذه النظرة قد تغيّرت فى العهود الأخيرة، وبرز الكثير من العلماء ممّن شكّك فى صحّة هذه الروايات، ولابدّ أنَّ ذلك ناشيء عن تطوّر العلم واكتشافاته وتخطئته لكثير من المأثور عمّا ورد فى النصوص الدينيّة. والمشكلة لا اختصاص لها بالنصوص الإسلاميّة، بل عموم النصوص الدينيّة من مطلق الأديان، وشأنها شأن باقى النصوص العلميّة التاريخيّة فى كونها تعانى من هذه المشكلة، وهذه هى طبيعة القضايا العلميّة؛ فإنَّ اللاحق غالباً يبطل السابق، لكن باعتبار حساسيّة الشعوب تجاه الدين واعتبارهم إيّاه محوراً أساسيّاً يتحكّم بحياتهم، جعل البعض يشكّك فى صحّة الدين والعزوف عنه، واللجوء إلى اللادينيّة.

اللافت فى هذا المجال هو رأى بعض علماء الشيعة، من قبيل الشيخ محمّد هادى معرفة؛ فإنّه أورد الكثير من الروايات ذات التوجّه المزبور ورفضها جميعاً، بل عدّها من الإسرائيليّات الموضوعة من قبل زنادقة جمعوا بين العلم والزندقة، وهى روايات بعضها حدّدت عمر الدنيا بسبعة آلاف سنة، وحكت كيفيّة خلق بعض الأجرام السماويّة، كالشمس والقمر، أو فسّرت بعض الظواهر الكونيّة، من قبيل أنَّ الشمس إذا غابت فقد ابتلعها حوت، وأنَّ الأرض مستقرّة علي ظهر حوت، وفسَّرت السحاب والرعد والبرق بأمور لا يرتضيها العلم فى العصر الحديث.[٤٨]

ملاحظات علي التفسير العلمى لأهل البيت:

تنبغى ملاحظة الأمور التالية فى هذا المجال:

أوّلاً: إنَّ تتبع الروايات التفسيريّة الواردة عن أهل البيت تكشف عن اتّباعهم هذا

المنهج فى تفسيرهم واحتمال اعتمادهم العلوم الدارجة آنـذاك فى تفـسير الكتـاب، وعـدم اعتمادهم الوحى فيه، أى إنّهم لم يعتمدوا الطرق الوحيانيّة فى الكشف عن الحقائق الكونيّة، بل سايروا ما كان دارجاً من العلوم آنذاك. ولو كانوا قد اعتمدوا الطرق الوحيانيّة لما شهدنا خطأ بعض الروايات علميّاً، إلاّ أن يقال بوضعها، عندئذٍ يبقي احتمـال اعتمـاد الـوحى فى التفسير العلمى، لكن يقال بتخصيصه بالروايات الصحيحة التى لم يثبت خطؤها حتى الان.

ثانيـاً: طبيعة العلوم الماديّة؛ كونها متغيّرة وآئلة إلى التطوّر بمرور الزمان، ومـن الطبيعـى أن تتغيّر بعد ألف سنة.

ثالثاً: الكثير من الروايات ذات التوجُّه العلمى للتفسير غير قطعيّـة الـصدور، ولا يبعـد وضع بعضها وتحريف بعضها الآخر، ولا نتلقّي جميعها بالقبول من حيث السند.

رابعاً: الكثير من الروايات ذات التوجّه المزبور تحمل مضموناً لم يقل به العلم أو يخـالف العلم، فمن الطبيعى أن نرفضها ولا نقبلها، ومضمونها يكشف عن بطلانهـا. وهـذا الـبطلان يكشف فى النتيجة عن عدم صدورها بتاتاً، أو صدورها لكن مرادها ممّا يحتاج إلى تأويـل. وعلي العموم، قد يكون من الصعب تحديـد مـا وافـق العلـم منـها؛ باعتبـار تغيّـر العلـوم والنظريّات العلميّة باستمرار.

الرابع: منهج التفسير الاجتهادى والعقلى عند أهل البيت:

إنّ مذهب أهل البيت من المذاهب الداعية إلى إعمال العقل وعلي نطـاق واسـع، وقـد أعمل أهل البيت هذه الآليّة التى منحها الله إلى البشر فى مجالات كـثيرة، بـل يعتـبر العقـل والعقلنة من مميّزات مذهب أهل البيت.

ويمكن تتبّع هذا الأمر فى الروايات التفسيريّة؛ فإنّا نجد بعضها قـد نحـت هـذا المنحـي،

وأعملت العقل، واجتهدت فى التفسير وتجاوزت ما يبدو من ظاهر النص الذى يبدو مخالفاً للعقل، والأمثلة التالية نماذج من ذلك:

١ ــ عن عبد الله بن قيس، عن أبى الحسن الرضا (ع) قال: سمعته يقول: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [٤٩]، فقلت: له يدان هكذا؟ وأشرت بيدىّ إلى يديه، فقال: «لا، لو كان هكذا كان مخلوقاً».[٥٠]

لقد فسّر المعصوم الآية هنا بما ينسجم مع مقتضيات العقل، فهو قد استخدم العقل لكى يفسّر الآية تفسيراً اجتهادّياً متناسباً مع مقتضيات العقل البشرى.

٢ ــ عن أمير المؤمنين (ع) فى حديث طويل: «وأمّا قوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٥١]، فالمراد: كلّ شىء هالك إلاّ دينه؛ لأنّ من المحال أن يهلك منه كلّ شىْء ويبقي الوجه، هو أجلّ وأعظم من ذلك، وإنّما يهلك من ليس منه، ألا تري أنّه قال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[٥٢]، ففصل بين خلقه ووجهه».[٥٣]

وتفسير الإمام هنا اجتهادىٌّ مبنىٌّ علي العقل الذى يقتضى أن لا يكون لله وجه كوجه الإنسان، فيهلك أو لا يهلك، كما هو شأن وجه الإنسان.

مصادر التفسير العقلى والاجتهادى:

إنّ ملاحظة الروايات الدالّة علي استخدام أهل البيت لمنهج التفسير العقلى والاجتهادى تكشف عن اعتمادهم فى هذا المجال مصادر خاصّة، ولم يكن اعتباطاً وتفسيراً بالرأى،

وهى:

١ــ اعتماد القضايا العقليّة:

القضايا العقليّة قد تكون بديهيّة وقطعيّة وما شابه ذلك، وقد يعتمد المعصوم إحدي هذه القضايا فى تفسيره لبعض الآيات، ويعدُّ هذا المنهج من المميّزات الأساسيّة لتفسير أهل البيت، وقد وردت عنهم روايات كثيرة[٥٤] تثبت اعتمادهم هذا المنهج، ومن ذلك الرواية التالية:

عن على بن فضال، عن أبيه قال: سألت الرضا (ع) عن قول الله عزّ وجلّ:﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[٥٥] ، فقال: «إنّ الله سبحانه لا يوصف بالمجيء والذهاب، تعالى عن الانتقال، إنّما يعنى بذلك: وجاء أمر ربّك».[٥٦]

ملاحظات فى اعتماد العقل وقضاياه:

ألف ـ عدم التعويل علي القضايا الاحتماليّة، أى التى لم يقطع بها العقل، وهو أمر لم نشهده عن أهل البيت، فلم نجد من نقد تفسيرهم من هذا الوجه.

باء ـ عدم ترجيح القضايا العقليّة غير اليقينيّة علي القضايا النقليّة المقطوع بصدورها عن المعصوم، وهذا أيضاً ممّا لم نشهده عن أهل البيت البتّة.

٢ ــ ملاحظة الظروف الزمانيّة والمكانيّة:

إنَّ هذا العنصر يمكن ملاحظته فى تفسيرهم بشكل جلى، وممارسة التأويل وتطبيق الآيات علي موارد معاصرة لهم تدخل فى هذا الإطار. وقد استهدفوا من ذلك الخروج عن

البحوث العلميّة للتفسير للدخول فى المجال العملى ذى الصلة بحياة الناس الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة. وهو من أهمّ ما تميّزت به مدرسة أهل البيت التفسيريّة، حيث قلّما نلحظ ممارسته من قبل باقى المفسّرين.

ففى تفسير الآية الخامسة من سورة هود ورد عن الإمام (ع) ذكره للظروف التى حكتها الآية والملابسات التى تحوم حولها؛ فعن أبى جعفر (ع) قال: «أخبرنى ابن عبد الله أنّ المشركين كانوا إذا مرّوا برسول الله (ص) حول البيت طأطأ أحدهم رأسه وظهره ـ هكذا ـ وغطّي رأسه بثوبه حتى لا يراه رسول الله (ص)، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[٥٧]

٣ ـ اللغة:

من المسلّم به أنّ اللغة مصدر أساسىٌّ للتفسير علي العموم، من أىّ مفسّر صدر، ونحن نشهد عند أهل البيت استخدامهم لهذا المصدر فى عمليّة تفسير الكتاب، وقد تجلّي هذا بأنحاء مختلفة نراها كما يلى:

ألف ـ المقتضيات اللغويّة:

وذلك من قبيل الرأى الذى يذهب إليه الشيعة من مسح بعض الرأس باليد فى الوضوء؛ فإنّه رأى يعتمد ما ورد عن المعصوم من تفسير الآية ذات الصلة بالنحو الذى يثبت المسح ببعض الرأس، والرواية هى:

عن زرارة، قال: قلت لأبى جعفر (ع): ألا تخبرنى من أين علمت وقلت: إنّ المسح

ببعض الرأس وبعض الرجلين؟ فضحك، ثمّ قال: «يا زرارة، قال رسول الله (ص) ونزل به الكتاب من الله لأنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾، فعرفنا أنّ الوجه كلّه ينبغي أن يغسل. ثمّ قال: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾، فوصل اليدين إلى المرفقين بالوجه، فعرفنا أنّه ينبغي لهما أن يُغسلا إلى المرفقين. ثمّ فصل بين الكلامين، فقال: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾، فعرفنا حين قال: ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾ أنّ المسح ببعض الرأس لمكان؛ الباء....».[٥٨]

فقد استفاد الإمام هنا من أحد المعاني الواردة لحرف الباء في تفسير الآية؛ فإنّ التبعيض من ضمن المعاني الواردة لحرف الباء، كما أثبت ذلك العلاّمة الطريحي، وهو من أهل اللغة؛ فقد نقل عن الفارسي وغيره قولهم بورود الباء للتبعيض كما ترد لمعان أخري[٥٩].

باء ـ السياق:

وفي هذا المجال ورد تفسير القرية الواردة في الآية ١١ من سورة الأنبياء بأهل القرية؛ اذ ورد عن الإمام علي بن الحسين (ع) قوله: «ولقد أسمعكم الله في كتابه ما قد فعل بالقوم الظالمين من أهل القرية قبلكم، حيث قال: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾، وإنّما عنى بالقرية أهلها، حيث يقول: ﴿وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ﴾».[٦٠] ففسّر القرية بأهلها، مستخدماً قرينة السياق الواردة في الآية اللاحقة.

جيم ـ معاني المفردات:

في كثير من الموارد فسّر أهل البيت الآيات من خلال تفسيرهم للمفردات الواردة فيها، ومن هذا القبيل الرواية التالية التي فسرت مفردة (المنخنقة) و(الموقوذة) و(المتردّية)

و(النطيحة).

عن عبد العظيم بن عبد الله الحسنى، عن أبى جعفر محمّد بن على الرضا (ع)... قال (عبد العظيم): فقلت له: فقوله تعالى:﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [٦١]؟ قال: «المنخنقة: التى انخنقت بإخناقها حتّي تموت، والموقوذة: التى مرضت ووقذها المرض حتّي لم تكن بها حركة، والمتردّية: التى تتردّي من مكان مرتفع إلى أسفل، أو تتردّي من جبل، أو فى بئر فتموت، والنطيحة: التى تنطحها بهيمة أخري فتموت...». [٦٢]

ملاحظة فـى التفسير باللغة:

إنّ أهم مبدأ يعتمد فى التفسير اللغوى هو العلم والاحاطة باللغة العربيّة. وفى هذا المجـال لم نأثر عن أهل البيت ما يثبت عدم إحاطتهم بها أو خطأهم فى هـذا المجـال، وبخاصـة أنّ بعضهم كان قريب العهد بالجاهليّة، فكلامهم ضمن كلام أولئكهو المعتمد فى اللغـة والحجّـة فيها.

٤ ـ العرف:

باعتبار أنّ لغة القرآن فى كثير من آياته لغة عرفيّة، فمن الطبيعى أن يستفاد من العـرف وارتكازاته وآليّاته لأجل تفسير القرآن وفهم معانيه. وهناك الكثير من الروايات التفسيريّة الواردة عن أهل البيت تؤكّد ذلك، وتثبت استخدام الارتكازات العرفيّة لفهم القرآن وإدراك معانيه، وقد تجلّي هذا فى الموارد التالية:

ألف ـ ملاحظة الإدراك العرفـي :

فى تفسير الأية الأولى من سورة القلم وردت الرواية التالية: عن عبد الرحيم القصير، عن أبى عبد الله (ع) قال: سألته عن ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [٦٣]، قال (ع): «إنّ الله تعالى خلق من شجرة من الجنّة يقال لها الخُلد، ثمّ قال لنهر فى الجنّة: كن مداداً، فجَمَد النهر، وكان أشدّ بياضاً من الثلج وأحلي من الشهد، ثمّ قال للقلم: اكتب، قال: يا ربّ وما أكتُب؟ قال: اكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، فكتب القلم فى رقّ أشدّ بياضاً من الفضّة وأصفي من الياقوت، ثمّ طواه فجعله فى ركن العرش، ثمّ ختم علي فم القلم، فلم ينطق بعد ذلك ولا ينطق أبداً، فهو الكتاب المكنون الذى منه النسخ كلّها، أوَلَستم عرباً؟ فكيف لا تعرفون معنى الكلام وأحدكم يقول لصاحبه: انسخ ذلك الكتاب، أوَليس إنّما ينسَخ من كتاب أخذ من الأصل؟ وهو قوله: ﴿هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٦٤]».

إنّ كيفيّة خطاب المعصوم للمستفسر تكشف عـن ملاحظتـه للجانـب العـرفى، كمـا إنّ القرآن لاحظ هذا الجانب أيضاً.

باء ـ ملاحظة خصائص وقابليّات المتكلم:

وهو ما جري عليه العقلاء فى سيرتهم وتعاملهم مع الآخرين فى كافّة المجالات، فمتكلّم مثل الله حكيم ولا ينطق إلاّ بالحق، ولا يقول ما فيه اخـتلاف وتـضاد. وبنـاءً علـي هـذا المبدأ، وردت الرواية التالية فى مقام الاحتجـاج علـي أبى حنيفـة حـول تفـسيره لـبعض الآيات:

«... قال: فأخبرنى عن قول الله عزّ وجلّ ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ (٦٥)، أى موضع هو؟ قال أبو حنيفة: هو ما بين مكّة والمدينة، فالتفتَ أبو عبد الله (ع) إلى جُلسائه وقال: نشدتكم بالله هل تسيرون بين مكّة والمدينة ولا تأمنون علي دمائكم من القتل وعلي أموالكم من السرق؟ فقالوا: اللهمّ نعم، فقال أبو عبد الله (ع): ويحك يا أبا حنيفة، إنّ الله لا يقول إلاّ حقّاً، أخبرنى عن قول الله عزّ وجلّ:﴿فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (٦٦)، أىّ موضع هو؟ قال: ذلك بيت الله الحرام.

فالتفتَ أبو عبد الله (ع) إلى جلسائه وقال: نشدتكم بالله، هل تعلمون أنّ عبد الله بن الزبير وسعيد بن جبير دخلاه فلم يأمَنا القتل؟ قالوا: اللهم نعم. قال أبو عبد الله (ع): ويحك يا أبا حنيفة، إنّ الله لا يقول إلاّ حقّاً».(٦٧)

جيم ـ ملاحظة خصائص وقابليّات المخاطَب:

وهو ما جري عليه العقلاء فى سيرتهم وتعاملهم مع الآخرين فى كافّة المجالات، ويعتبرون شأن المخاطَب من القرائن التى تساعد علي فهم الكلام، وباعتبار أنّ الله واحد من الحكماء، فلا بدّ أن يعتمد أسلوباً كهذا فى كلامه، وقد استفاد أهل البيت من هذا المبدأ لفهم معانى بعض الآيات، كما هو فى الرواية التالية:

عن محمّد بن سعيد الأذخرى ـ وكان يصحب موسي بن محمّد بن على الرضا ـ أنّ موسي أخبره أنّ يحيي بن أكثم كتب إليه يسأله عن مسائل فيها: وأخبرنى عن قول الله عزّ

وجلّ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [٦٨]، من المخاطب بالآية؟ فإن كان المخاطب به النبي (ص)، ليس قد شكّ في ما أنزل الله عزّ وجلّ إليه، وإن كان المخاطب به غيره فعلي غيره إذاً أنزل الكتاب، قال موسي: فسألت أخي على بن محمّد (ع) عن ذلك، قال: أمّا قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ فإنّ المخاطب بذلك رسول الله (ص)، ولم يكن في شكٍّ ممّا أنزل الله عزّ وجلّ، ولكن قالت الجهلة: كيف لا يبعث إلينا نبيّاً من الملائكة، إنّه لم يفرّق بينه وبين غيره في الاستغناء عن المأكل والمشرب والمشي في الأسواق، فأوحي الله عزّ وجلّ إلى نبيّه: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ بمحضر من الجهلة: هل بعث الله رسولاً قبلك إلاّ وهو يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ولك بهم أسوة، وإنّما قال: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ ولم يكن، ولكن ليتّبعهم. كما قال: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾. [٦٩] ولو قال تعالى: نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم لم يكونوا يجيبون للمباهلة، وقد عرف أنّ نبيّه (ص) مؤدٍّ عنه رسالته، وما هو من الكاذبين، وكذلك عرف النبي (ص) أنّه صادقٌ في ما يقول، ولكن أحبّ أن يُنصف من نفسه. [٧٠]

فالإمام، رغم أنّه أقرّ بكون الآية نزلت في الرسول، والشكّ موجّه له، الاّ أنّه نفي الشكّ

عنه؛ باعتباره غير شاكٍّ فى هذا الأمر، وحقيقة الشكّ موجّه إلى مَن وصفهم بالجهلة الذين طالبوا الرسول بمطالب باطلة؛ فالإمام يري أنّ الآية وردت من باب (إيّاك أعنى واسمعى يا جارة).[٧١]

دال ـ ملاحظة خصائص الموضوع وملابساته التاريخيّة وغيرها:

وهذا أيضاً من المباديء التى يعتمدها العقلاء فى كلامهم؛ فإنّ عرف العقلاء كثيراً ما يبحث عن الملابسات التاريخيّة والأمور التى تحوم حول الكلام لأجل تفسيره. وقد أخذ أهل البيت بهذا المبدأ فى تفسيرهم لبعض آيات القرآن، باعتبار لغته العرفيّة والعقلائيّة. ومن هذه الموارد تفسير فرعون بأنّه ذو أوتاد، حيث وردت الرواية التالية مفسّرة لذلك:

... أبّان الأحمر قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾[٧٢]: لأىّ شىء سمّى ذا الأوتاد؟ فقال: «لأنّه كان إذا عذّب رجلاً بسطه علي الأرض علي وجهه، ومدّ يده ورجليه فأوتدها بأربعة أوتاد فى الأرض، وربما بسطه علي خشب منبسط، فوتد رجليه ويديه بأربعة أوتاد، ثمّ تركه علي حاله حتى يموت، فسمّاه الله عزّ وجلّ ذا الأوتاد».[٧٣]

هاء ـ ملاحظة كلام المتكلّم فى الموارد الأخري:

وهذا أيضاً من القرائن التى يستخدمها أهل العرف لفهم كلام المتكلّم؛ فإنّهم كثيراً ما يلاحظون كلام المتكلّم فى مجالات وموارد أخري ليقيسوه بالكلام المراد فهمه، ثمّ يخرجون بنتائج تعين علي فهم الكلام أو النص. ومنشأ هذا يعود إلى أنّ طبيعة المتكلّم فى كثير من الأحيان لا يبيّن كلّ مراده فى كلام واحد، بل تتوزّع كلماته ومفرداته العاكسة لمراده فى

أكثر من مورد، وبخاصّة إذا كان كتاباً أو مقالاً.[٧٤]

ففى تفسير الآية:﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[٧٥] وردت رواية عن الإمام الحسن المجتبى(ع)[٧٦] فسرت الشاهد بمحمّد (ص)، وذلك باعتبار أنّ الله يقول فى آية أخري:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[٧٧]، وفسّرت ﴿مَشْهُود﴾ بيوم القيامة، باعتبار قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْأَخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾[٧٨].

٥ ـ ملاحظة شأن النزول:

إنّ ذكر شأن النزول أو سببه والداعى الذى أدّي إلى نزول الآية هو أحد أساليب التفسير. والكثير من الآيات يتّضح معناها ومفهومها بمجرّد ذكر شأن نزولها. وهذا المنهج اتّبعه جميع المفسّرين، وأمره غير مختصٍّ بمن اعتمد المنهج المأثور فى التفسير، بل الجميع ـ مهما كان اتّجاهه فى التفسير ـ يعتمد هذا المنهج فى تفسيره وتوضيحه لآيات القرآن. نذكر هنا الرواية التالية كشاهد علي استخدام هذا المنهج فى تفسير أهل البيت:

عن أبى جعفر (ع) قال: «إنّ أمير المؤمنين (ع) قال: إن امرأة من المسلمين أتت رسول الله (ص) فقالت له: يا رسول الله، إنّ فلاناً زوجى نثرت له بطنى وأعنته علي دنياه وآخرته، فلم يرَ منّى مكروهاً، وأنا أشكوه إلى الله عزّ وجلّ واليك. قال: ممّا تشتكينه؟ قالت له: إنّه قال لى اليوم: أنت علىّ حرام كظهر أمّى، وقد أخرجنى من منزلى، فانظر فى

أمرى.

فقال رسول الله (ص): ما أنزل الله علىّ كتاباً أقضى به بينك وبين زوجك، وأنا أكره أن أكون من المتكلّفين، فجعلت تبكى وتشتكى ما بها إلى الله ورسوله (ص) وانصرفت، فسمع الله عزّ وجلّ محاورتها لرسول الله فى زوجها وما شكت إليه، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ (٧٩).

٦ ـ اعتماد العلم والاطمئنان دون الاحتمال والشك:

مهما كان مصدر تفسير أهل البيت، فإنَّ ما أثرناه فى كثير من الروايات الواردة عن أهل البيت : هو نهيهم عن التفسير اعتماداً علي الاحتمال والظنّ، وهذا يعنى أنَّ اعتماد العلم والاطمئنان من المباديء التى كانوا يعتمدونها فى تفسيرهم. إنّ الروايات التالية تحكى هذا الموضوع:

عن وهب بن وهب القرشى، عن الصادق عن آبائه :، أنّ أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن على (ع) يسألونه عن ﴿الصَّمَدُ﴾ فكتب إليهم: «بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد فلا تخوضوا فى القرآن، ولا تجادلوا فيه، ولا تتكلّموا فيه بغير علم، فقد سمعت جدّى رسول الله (ص) يقول: مَن قال فى القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار...». (٨٠)

عن أبى جعفر (ع): «إنّ أناساً تكلّموا فى القرآن بغير علم؛ وذلك أنّ الله يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٨١]

إنّ استشهادهم بآيات من القرآن وأحاديث عن الرسول (ص) لإثبات ضرورة اعتماد العلم فى التفسير، يعنى تأصيلهم هذا المبدأ واعتبارهم إيّاه ممّا فرضه الله علي أىّ مفسر، وهو ليس أمراً مبتدعاً، وبحاجة إلى دليل غير ذكر ما يدعو إليه الله لأجل تفسير كلامه.

الخامس: منهج التفسير الإشارى عند أهل البيت:

إنَّ أهل البيت من مؤسّسى المنهج الإشارى فى التفسير، وقد مضي الحديث عن الرسول (ص) من أنَّ للقرآن ظاهراً وباطناً، وحديثاً آخر عن أحد أئمّة أهل البيت : ورد فيه: «القرآن علي أربعة أشياء، علي العبارة والإشارة واللطائف والحقائق، والعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء».[٨٢]

وقد تجلّي التفسير الإشارى لأهل البيت فى مجموعة من التأويلات الباطنيّة التى وردت عنهم. وعلي هذا يرجع التفسير الإشارى إلى التأويل، لكنّه نوعٌ خاصٌ منه، وهو التأويل الباطنى، أى ذات الصبغة الوحيانيّة.

وهنا نماذج من الروايات التى تعرض وجوهاً من التفسير الإشارى:

١ ــ فى كتاب معانى الأخبار بإسناده إلى سفيان بن سعيد الثورى، عن الصادق (ع)حديثٌ طويل يقول فيه (ع): «... و﴿الر﴾[٨٣]، معناه: أنا الله الرؤوف».[٨٤]

٢ ــ فى حديث طويل ورد تفسير قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى

بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾[٨٥]، بقول الإمام الصادق (ع): «...ذلك من خرجَ من بيته بزاد وراحلة وكراء حلال يرومُ هذا البيت عارفاً بحقّنا يهوانا قلبه، كما قال عزّ وجلّ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[٨٦]، ولم يعنِ البيت فيقول: إليه. فنحن والله دعوة إبراهيم (ع) التى مَن هوانا قلبُه قُبلت حجّته وإلاّ فلا. يا قتادة، فإذا كان كذلك كان آمناً من عذاب جهنمّ يوم القيامة...».[٨٧]

٣ ـ وفى تفسير ﴿بِسْمِ﴾ حكى عن الإمام الصادق (ع) قوله: «الباء بقاؤه، والسين أسماؤه، والميم ملكه؛ فإيمان المؤمن ذكره ببقائه وخدمة المريد ذكره باسمأئه، والعارف فناؤه عن المملكة بالمالك لها».[٨٨]

٤ ـ وعن الصادق (ع) كذلك: «بسم ثلاثة أحرف: باء وسين وميم؛ فالباء باب النبّوة، والسين سرّ النبوّة الذى أسرّ النبى به إلى خواصّ أمتّه، والميم ملكه الذى يعمّ الأبيض والأسود».[٨٩]

بالطبع هناك الكثير من الكلام فى صحّة نسبة هذه الأحاديث إلى الإمام الصادق (ع) من حيث إنّها تبدو باطنيّة بنحو غير مألوف عن أهل البيت ؛ وإذا بنينا هنا علي صحّتها فلا بدّ من القول بأنّ أهل البيت كانوا يعتمدون مناهج الباطنيّة فى التفسير، ولا بدّ كذلك من القول بأنّ منشأ ومصدر هذا التفسير هو الوحى؛ لأنّه لا يمكن تبرير تفسير من هذا القبيل وفق أىّ منهج ومصدر متصوّر غير الوحى.

مصادر التفسير الاشارى:

لا شكّ فى أنّ أهل البيت اعتمدوا مصادر خاصّة فى ممارستهم للتفسير الإشارى، ولم يكن من التأويلات الباطلة أو التفسير بالرأى، وملاحظة وتتبّع الروايات التى تكشف عن هذا المنهج لديهم تدلّنا علي اعتمادهم مصادر فى هذا المجال. وباعتبار كون التفسير الاشارى تفسيراً وحيانيّاً ميتافيزيقيّاً، فلا بدّ أن تكون مصادره هكذا، وذلك لوجود التجانس بينهما، والمصادر نراها ما يلى:

١ ـ الجامعة:

لا شكّ فى أنّ أهل البيت : قد أخذوا بعض المفاهيم الواردة فى تفسيرهم عن الرسول (ص) بواسطة ما تدعي بالجامعة، ويمكن نسبة الكثير ممّا جهلنا مصدره فى التفسير الوارد عن أهل البيت إلى هذا المصدر الذى نجهل الكثير عنه.

ففى حديث طويل عن الإمام الصادق (ع) يخاطب فيها الراوى قائلاً: «يا أبا محمّد علّم ـ والله ـ رسول الله عليّاً ألف باب، يفتح من كلّ باب ألف باب»، قلت: والله هذا لعلم، فنكت ساعة فى الأرض ثمّ قال: «إنّه لعلم، وما هو بذلك»، ثمّ قال: «يا أبا محمّد وإنّ عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة»، قال: قلت: جعلت فداك، وما الجامعة؟ قال: « صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله (ص) وإملاء من فلق فيه وخطّ على بيمينه، فيها كلّ حلال وحرام، وكلّ شيء يحتاج الناس إليه...».[٩٠]

علي أنّا لم نعثر علي رواية تنسب تفسير آية خاصّة إلى ما ورد فى الجامعة، لكنّا نعلم إجمالاً بأنّ بعض التفاسير واردة عن الرسول (ص) أصلاً، بنحو مباشر أو بنحو غير مباشر، من هنا يمكن عدّها أحد مصادر التفسير لدي أهل البيت.

٢ ـ الوحى والإلهام:

إنَّ المراد بالوحى هنا هو الإلهام، ولا يراد منه جبرئيل، والالهام لا يختصّ بالرسول (ص) كما هو واضح، بل كلّ بشر مؤهّل لأن ينال قسطاً من الإلهام الإلهى.

يمكن تفسير بعض ما ورد من تفسير إشارى إلى ما قد نال أهل البيت من الهامات الهية.

وفى هذا المجال ورد عن الإمام موسي الكاظم (ع) قوله: «مبلغ علمنا ثلاثة وجوه: ماض وغابر وحادث: فأمّا الماضى فمفسَّر، وأمّا الغابر فمزبور، وأمّا الحادث فقذف فى القلوب ونقر فى الأسماع، وهو أفضل علمنا، ولا نبيَّ بعد نبيّنا».[٩١]

ويذكر أنّ ما قد أثرناه قد يبدو أمراً غير مفهوم بالمقاييس الدارجة لدي المفسّرين والمناهج المعتبرة لديهم، كالرواية الواردة فى تفسير السلمى، من تفسير الباء فى البسملة بالنبّوة، والسين بسرّ النبوّة،[٩٢]؛ فإنَّ مثل هذه الرواية لم تثبت سنداً، وهى مشكوكة الصدور عن أهل البيت أصلاً.

ملاحظات فى التفسير الإشارى:

بنينا فى هذا المنهج التفسير علي صحّة الروايات التفسيريّة التى نحتمل اعتمادها هذا المنهج، لكن هناك الكثير من الكلام فى هذه الروايات؛ فإنّ ما تقدّم من أمثلة وردت عن تفسير السلمى فيها ضعف، ولا يعتمدها الشيعة فضلاً عن غيرهم، وإذا قلنا ببطلان هذه الروايات، فإنّ استخدام أهل البيت لأصل هذا المنهج التفسيرى سيكون موضع شكّ وترديد.

السادس: منهج التفسير الأدبي الاجتماعي عند أهل البيت:

لم نأثر عن أهل البيت التفسير من صنف التفسير الأدبي الاجتماعي المعهود لدينا حالياً؛ وذلك لأنه من ضمن المناهج الحديثة التي أبدعت في العصر الحديث. لكنّ ظاهرة التأويل التي أثرناها عنهم ذات طابع اجتماعي تخصّ ذلك الزمان؛ فان من الأهداف التي استهدفتها هذه الظاهرة هو إيجاد صلة بين المفاهيم القرآنية وحوادث العصر؛ ففي هذه الظاهرة سعي أهل البيت لتطبيق بعض الآيات علي بعض القضايا الاجتماعيّة، وتقريب فهمهما لدي الناس من خلال عمليّة التطبيق هذه، أي تفسير هذه المفاهيم بذكر التطبيقات في الواقع وما يعيشه المجتمع الإسلامي آنذاك.

إنّ تفسير بعض الآيات في بني أميّة (كرمز للحكم والحاكم الظالم الذي ذمّه الله في القرآن) وتفسير بعض آخر بأئمة أهل البيت (كرمز للمظلوميّة والانسانيّة والأخلاق الرفيعة والقيادة البعيدة عن كلّ مشين) هو ترجمة لآيات القرآن وتفسير لها بما ينسجم مع متطلّبات ذلك العصر والظروف السياسيّة والاجتماعيّة الحاكمة آنذاك، ولا يعني انحصار تفسير الآيات المزبورة بالموارد التي حكتها الآيات، واقع آيات من هذا القبيل هو أنّها ذات مصاديق تمتدّ بامتداد التاريخ.

ورد في روايةٍ تشبيه الإمام بالشجرة التي أنبتها الله، حيث جاء في الرواية تفسيراً لقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [٩٣]: «ليس لكم أن تنصبوا إماماً من قبل أنفسكم تُسمّونه محقّاً بهوي أنفسكم وإرادتكم... من أنبت شجرة لم ينبته الله، يعني من نصّب اماماً لم ينصبه الله أو

جحد من نصبه...».[٩٤]

وفى رواية أخري يشبّه الإمام الصادق (ع) الإمام على وفاطمة والحسنين بما ورد فى الآية من قوله تعالى:﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢١ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾[٩٥]، حيث جاء فى الرواية:عن يحيي بن سعيد القطان، قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول فى قول الله عزّ وجلّ:﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ قال: «على وفاطمة بحران من العلم عميقان، لا يبغى أحدهما علي صاحبه، ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ الحسن والحسين».[٩٦]

ومع الأخذ بنظر الاعتبار الأجواء الأدبيّة والاهتمام بالأدب العربى الذى كان دارجاً آنذاك، فإنَّ هذه التشبيهات ـ والتى تُدعي تأويلات أيضاً ـ أمر لا إشكال فيه، بل هى أمرٌ مستحسن ومتماشٍ مع الأجواء الاجتماعيّة والعلميّة التى كانت تحكم آنذاك.

ومن هنا يمكن تقسيم ما أثرناه عن أهل البيت فى التفسير إلى قسمين:

١ ـ **تفسير غير مرحلى**، وغير خاصٍّ بزمان ولا مكان، ويعالج الإبهامات والآيات والمفاهيم التى تنطوى علي بعض الإبهامات بمعطيات عامّة غير مقيّدة بزمان ولا مكان.

٢ ـ **تفسير مرحلى**، وهو التفسير الذى لوحظت فيه خصائص المرحلة التى كان المسلمون يعيشونها، وتستدعى التوفيق بينها وبين آيات القرآن ومفاهيمه، فكان أهل البيت يطابقون بين الواقع وبين ما انعكس فى القرآن، فخلقت هذه المرحلة تفسيراً عنهم يدخل ضمنه التفسير العلمى وبعض التأويلات، وهو فى الحقيقة تفسير حاكٍ لملابسات وظروف

ومستحدثات كان المسلمون يعيشونها، وكانت تستدعى بيان الشارع وجهة نظره فيها.

وعليه، إذا أدرجنا هذه التأويلات والتطبيقات ضمن منهج التفسير الأدبى والاجتماعى كان يعنى استخدامهم له، وإلاَّ فلا.

التفسير بالتأويل:

من المناهج التى استخدمها أهل البيت فى تفسيرهم هو منهج التأويل، وقد تكون نسبته إلى كلّ تفسيرهم هى النسبة الأكبر والأكثر من النصف، وهذا يكشف عن أهميّة دراسة هذا المنهج الذى نهجه أهل البيت فى تفسيرهم.

تعدّدت المسالك والآراء فى التأويل[٩٧]، لكنّ الذى يبدو لنا هو أنّه لا يوجد منهج واحد يمكنه تحليل التأويل، بل هناك عدّة مناهج يدخل التأويل ضمنها؛ فتارةً يكون التأويل تفسيراً باطنيّاً، كما مرّ فى التفسير الباطنى، وتارةً أخري يكون تفسيراً أدبيّاً، كما مرّ أيضاً، وقد يكون شيئاً ثالثاً.

لم يختصّ أهل البيت بالتأويل، بل شاركهم فيها الكثير من أصحاب التوجُّهات الخاصّة، مثل الصوفيّة وغيرهم. لكن ما ينفرد به أئمّة أهل البيت هو أنّهم يعتمدون فى كثير من تأويلاتهم أموراً وحيانيّة موثوقاً بها، بينما غيرهم لا يحصل فى تأويلاتهم وثوق من هذا القبيل، بل قد سمّي الشيخ هادى معرفة بعض التأويلات (تخرّصات)، مثل تلك التى وردت عن ابن عربى.[٩٨]

السابع: منهج التفسير بالرأى عند أهل البيت:

من المسلّم به أن تفسير أهل البيت بعيد كلّ البعد عن التفسير بالرأى، وما تقدّم من مناهج تثبت اعتمادهم علي أمور ليست هى إبداعات وآراء شخصيّة. هذا مع أنّه لا أحد

من المفسّرين يدّعى اعتماده الرأى الشخصى أو الرأى الباطل.

ويضاف إلى كلّ هذا روايات غير قليلة وردت عنهم تنهى عن تفسير القرآن بالرأى، منها الرواية التالية:

عن الريّان بن الصلت، عن على بن موسي الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين : قال: قال رسول الله (ص): قال الله عزّ وجلّ: «ما آمن بى من فسّر برأيه كلامى».[٩٩]

الثامن: منهج التفسير التركيبى:

بتحليل ما أثرناه من تفسير أهل البيت، يمكننا الخروج بنتيجة، وهى أنّهم لم يعتمدوا منهجاً خاصّاً فى التفسير، بل استخدموا الكثير من المناهج المتقدّمة، من الاجتهادى العقلى والعلمى والإشارى والأدبى، كلاًّ فى محله. وهذا يعنى أنّهم قد اعتمدوا ما يمكن تسميته بالمنهج التركيبى.

خاتمة واستنتاج:

الأمور التالى ذكرها نراها نتائج تمخّضت عن البحث المتقدم:

أوّلاً: تعدّدت مناهج أهل البيت التفسيريّة، وذلك يعود إلى عدّة اعتبارات:

منها: ملاحظة مستوي فهم الأصحاب ودرجة استيعاب طلاّب تفسيرهم، والإمام قد يلاحظ المخاطب العادى فيفسّر القرآن بما ينسجم مع فهمه وإدراكه، وقد يخاطب أصحابه والخواص فيخاطبهم بخطاب آخر ويسرد لهم تفسيراً ينسجم مع عقليّته وقابليّته علي الاستيعاب.

ومنها: إنّ تنوّع الآيات يقتضى تنوّع المناهج؛ فالآيات ذات الإشارة العلميّة تقتضى

تفسيراً علميّاً، والآيات ذات البعد اللغوى تستدعى تفسيراً لغويّاً، والآيات ذات الأبعاد العقليّة بحاجة إلى تفسير عقلى، والآيات ذات البعد العرفى بحاجة إلى تفسير عرفى، وهكذا.

ومنها: كون القرآن بطبيعته ذا وجوه وأبعاد عديدة، وكثير من آياته تحتمل أكثر من وجه واحد وتحتمل أكثر من منهج للتفسير، وقد ورد فى بعض الروايات أنّ القرآن حمّال ذو وجوه[١٠٠].

ثانياً: المناهج التى استخدمها أهل البيت فى تفسيرهم هى ذاتها التى يستخدمها المفسّرون فى التفاسير التى أثرناها حتّي الآن، لكنّهم يختلفون معهم فى بعض الموارد:

منها: أنّهم أحياناً يستخدمون منهجاً غير مستخدم من قبل المفسّرين وغير منسجم مع مصادر المعرفة التى فى متناول باقى المفسّرين؛ وذلك لانعدام الأهليّة فى المفسّرين لاستخدامه، أو لعدم إمكانيّة الوصول إليه. ونعزو ذلك إلى أمرين:

١ ـ المصدر المسمّي بالجامعة؛ فإنّه عبارة عن إملاءات أملاها الرسول للإمام على، وخلّفها الاخير لأولاده، وهم الخلفاء بعدهما، وفقاً لما يعتقده الشيعة.

٢ ـ الوحى؛ فقد استخدموه فى تفسير بعض الآيات، كما إنّهم أقرّوا بأنّ لديهم إيحاءات، لا بمعنى نزول جبرئيل عليهم، بل بمعنى الإلهام الإلهى؛ لما لهم من شأن الإمامة التى تستدعى هذا النوع من الوحى.

ثالثاً: إلتأويل كأحد الآليات والأساليب المستخدمة فى التفسير الوارد عن أهل البيت : يُحلّل بعدّة تحاليل، ويتوزّع علي أكثر من منهج؛ فقد يدخل فى منهج التفسير الأدبى الاجتماعى، وقد يدخل فى التفسير الإشارى الباطنى، وقد يدخل فى موارد أخري.

الهوامش:

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدى، كتاب العين، ج٣، ص١٨٤٥.
(٢) الحسن ابن دريد، جمهرة اللغة، ج٣، ص٤٧٨.
(٣) محمّد محمّد بالروين، قواعد المنطق، ص١٤٧.
(٤) رضائى محمّد على ، دروس فى المناهج والاتجاهات التفسيريّة، ص١٨.
(٥) انظر: بابائى على أكبر ، مكاتب تفسيرى، جزءان، تحدّث فيه عن المدارس التفسيريّة، وقسم كلاًّ منها إلى محضة وغير محضة.
(٦) انظر: الذهبي الدكتور محمّد حسين ، التفسير والمفسرون، ج١، ص١٥٢ ـ ١٦٥، العك خالد ، أصول التفسير وقواعده، ص١٠٩ ـ ١٣٤، عبد الحميد الدكتور محسن ، دراسات فى أصول تفسير القران، ص١١١ ـ ١١٦، عميد زنجانى عباسعلى ، مبانى و روشهاي تفسير قرآن، ص٢٨٧ ـ ٣٠٣، رضائى محمّد على ، دروس فى المناهج والاتجاهات التفسيريّة، ص٤١ ـ ٥٣.
انظر: الذهبي الدكتور محمّد حسين ، التفسير والمفسّرون، ج١، ص١٥٢ ـ ١٦٥، العك خالد ، أصول التفسير وقواعده، ص١٠٩ ـ ١٣٤، معرفة محمّد هادى ، التفسير والمفسّرون، ج٢، ص٥٣٩ ـ ٦٠٧، عبد الحميد الدكتور محسن ، دراسات فى أصول تفسير القرآن، ص١١٧ ـ ١٢٤، عميد زنجانى عباسعلى ، مبانى و روشهاي تفسير قرآن، ص١٩١ ـ ٢١٧، رضائى محمّد على ، دروس فى المناهج والاتجاهات التفسيريّة، ص٧٣ ـ ٩٢.
(٨) انظر: الذهبي الدكتور محمّد حسين ، التفسير والمفسّرون، ج١، ص١٤٦ ـ ١٤٨، العك خالد ، أصول التفسير وقواعده، ص١٦٣ ـ ٢٠١، معرفة محمّد هادى ، التفسير والمفسّرون، ج٢، ص٨٠١ ـ ٨٠٥، عبد الحميد الدكتور محسن ، دراسات فى أصول تفسير القرآن، ص١٣٧ ـ ١٤٥، عميد زنجانى عباسعلى ، مبانى و روشهاي تفسير قرآن، ص٢٥٧ ـ ٢٨٤، رضائى محمّد على ، دروس فى المناهج والاتجاهات التفسيريّة، ص١١١ ـ ١٤٢.
(٩) سورةالنحل ١٦: الآية ٨٩.
(١٠) انظر: العك خالد ، أصول التفسير وقواعده، ص ٢١٧ ـ ٢٢٤، معرفة محمّد هادى ، التفسير والمفسرّون، ج٢، ص١٠٠١ ـ ١٠٠٨، عبد الحميد الدكتور محسن ، دراسات فى أصول تفسير القرآن، ص ١٤٦ ـ ١٥٣، رضائى محمّد على ، دروس فى المناهج والاتجاهات التفسيريّة، ص١٤٥ ـ ١٨٧،
(١١) المجلسى محمّد باقر ، بحار الأنوار، ج٧٥، ص٢٧٨.

(١٢) انظر: العك خالد ، أصول التفسير وقواعده، ص٢٠٣ ـ ٢١٦، معرفة محمّد هادى ، التفسير والمفسرّون، ج٢، ص٩٣٩ ـ ٩٦١، عميد زنجانى عباسعلى ، مبانى و روشهاي تفسير قرآن، ص٢٤١ ـ ٢٥٣، رضائى محمّد على ، دروس فى المناهج والاتجاهات التفسيريّة، ص١٩١ ـ٢١٥،

(١٣) انظر: معرفة الشيخ محمّد هادى ، التفسير والمفسرّون، ج٢، ص١٠٠٨ ـ ١٠١١، رضائى محمد على ، دروس فى المناهج والاتجاهات التفسيريّة، ص٢٨١ ـ٢٨٥،

(١٤) انظر: الذهبى الدكتور محمّد حسين ، التفسير والمفسرّون، ج١، ص٢٥٥ ـ ٢٨٧، عميد زنجانى عباسعلى ، مبانى وروشهاي تفسير قرآن، ص٢٢٢ ـ ٢٣٨، رضائى محمّد على ، دروس فى المناهج والاتجاهات التفسيريّة، ص٢١٢ ـ٢٥٥.

(١٥) انظر: بابائى على أكبر ، مكاتب تفسيري، ج١، ص٢٦، وج٢، ص١٢٦.

(١٦) انظر: تقوى دهاقانى سيد حسين ، روش شناسي أهل بيت، ص٩٦ ـ ١١٦.

(١٧) سورةالمائدة ٥: الآية ٥.

(١٨) سورةالممتحنة ٦٠: الآية ١٠ ؛ انظر : المجلسى محمّد باقر ، بحار الأنوار، ج٢، ص٢٧٩.

(١٩) سورةآل عمران ٣: الآية ٧.

(٢٠) سورةنوح ٧١: الآية٣.

(٢١) الكلينى محمّد بن يعقوب ، الكافى، ج٢، ص٢٨.

(٢٢) سورة الأنعام ٦: الآية ١٠٣.

(٢٣) سورة طه ٢٠: الآية ١١٠.

(٢٤) سورةالشوري ٤٢: الآية ١١.

(٢٥) سورة النجم ٥٣: الآية ١٣.

(٢٦) سورة النجم ٥٣: الآية ١٨.

(٢٧) الكلينى محمّد بن يعقوب ، الكافى، ج١، ص٩٦.

(٢٨) سورة الأحزاب ٣٣: الآية ٥٢.

(٢٩) سورة النساء ٤: الآية ٢٣ ؛ انظر : الكلينى محمّد بن يعقوب ، الكافى، ج٥، ص٣٨٨.

(٣٠) سورة البقرة ٢: الآية ٢١٩.

(٣١) سورة الفرقان ٢٥: الآية ٦٧.

(٣٢) الحويزى الشيخ عبد على ، تفسير نور الثقلين، ج٤، ص٢٨.

(٣٣) سورة الأنبياء ٢١: الآية ٨٧.

(٣٤) سورة الفجر ٨٩: الآية ١٦.

(٣٥) المجلسى محمّد باقر ، بحار الأنوار، ج١١، ص٧٣.

(٣٦) سورة الإسراء ١٧: الآية ٦٤ ؛ انظر : الكلينى محمّد بن يعقوب ، الكافى، ج٢، ص٣٢٣ ـ ٣٢٤.

(٣٧) سورة النساء ٤: الآية٥٩.

(٣٨) محمّد بن يعقوب الكليني، الكافى، ج١، ص٢٨٦ ـ ٢٨٧.
(٣٩) سورة الحجر ١٥: الآية ٨٥.
(٤٠) الصدوق محمّد بن على ، الأمالى، ص٤١٦.
(٤١) انظر: الصدوق محمّد بن على، الأمالى، ص٥٦٥، ومعانى الأخبار، ص١٢٦؛ فقد نقل بعض الأئمّة هناك عن الصحابى أبى بردة.
(٤٢) المجلسى محمّد باقر ، بحار الأنوار، ج٢، ص٢٤٩ ـ ٢٥٠ و ج٧، ص١٦٠.
(٤٣) سورة الذاريات ٥١: الآية ٧.
(٤٤) سورة الرعد ١٣: الآية ٢.
(٤٥) القمّى على بن إبراهيم ، تفسير القمّى، ج٢، ص٣٢٨.
(٤٦) البحرانى محمّد هاشم ، البرهان، ج٤، ص١٧.
(٤٧) الصدوق أبو جعفر ، عيون أخبار الرضا، ص٢١٨.
(٤٨) انظر: معرفة الشيخ محمّد هادى ، التفسير والمفسّرون، ج٢، ص٧١٥ ـ ٧٣٠.
(٤٩) سورة المائدة ٥: الآية ٦٤.
(٥٠) الصدوق محمّد بن على ، معانى الأخبار، ص١٨.
(٥١) سورة القصص ٢٨: الآية ٨٨.
(٥٢) سورة الرحمن ٥٥: الآيتان ٢٦ و ٢٧.
(٥٣) الطبرسى أحمد بن على ، الاحتجاج، ج١، ص٣٧٥ ـ ٣٧٦.
(٥٤) انظر: بابائى على أكبر ، مكاتب تفسيري، ج١، ص١٠٨ ـ ١١٠.
(٥٥) سورة الفجر ٨٩: الآية ٢٢.
(٥٦) الحويزى عبد على ، تفسير نور الثقلين، ج٥، ص٥٧٤.
(٥٧) سورة هود ١١ : الآية ٥ ؛ انظر : البحرانى السيّد هاشم ، البرهان، ج٣، ص٧٨.
(٥٨) العياشى محمّد بن مسعود ، تفسير العيّاشى، ج١، ص٢٩٠، البحرانى هاشم ، البرهان، ج٢، ص٢٥٦.
(٥٩) انظر: الطريحى فخر الدين ، مجمع البحرين، ج١، ص١٤٦.
(٦٠) البحرانى السيد هاشم ، البرهان، ج٣، ص٨٠٥ ـ ٨٠٦.
(٦١) سورة المائدة ٥ : الآية ٣.
(٦٢) البحرانى السيّد هاشم ، البرهان، ج٢، ص٢٢٠.
(٦٣) سورة القلم ٦٨: الآية ١.
(٦٤) سورة الجاثية ٤٥: الآية ٢٩؛ انظر: القمّى على بن إبراهيم ، ج٢، ص٣٧٩ ـ ٣٨٠، البحرانى هاشم ، البرهان، ج٥، ص٤٥٣ ـ ٤٥٤.
(٦٥) سورة سبأ ٣٤: الآية ١٨.
(٦٦) سورة آل عمران ٣: الآية ٩٧.

(٦٧) المجلسى محمّد باقر ، بحار الأنوار، ج٢، ص٢٨٧.
(٦٨) سورة يونس ١٠: الآية ٩٤.
(٦٩) سورة آل عمران ٣ : الآية ٦١.
(٧٠) الحويزى عبد على ، تفسير الثقلين، ج١، ص٣٥٠و ج٢، ص٣١٩.
(٧١) انظر: على أكبر بابائى، مكاتب تفسيري، ج١، ص١١١ ـ ١١٣.
(٧٢) سورة الفجر ٨٩: الآية ١٠.
(٧٣) الحويزى عبد على ، تفسير الثقلين، ج٥، ص٥٧١.
(٧٤) انظر: بابائى على أكبر ، مكاتب تفسيري، ج١، ص ١١٧ ـ ١٢٠.
(٧٥) سورة البروج ٨٥: الآية ٣.
(٧٦) الحويزى عبد على ، نور الثقلين، ج٥، ص٥٤٣، الطباطبائى محمد حسين ، الميزان، ج٢٠، ص٢٥٥.
(٧٧) سورة الأحزاب ٣٣: الآية ٤٥.
(٧٨) سورة هود ١١: الآية ١٠٣.
(٧٩) سورة المجادلة ٥٨: الآية ١ ؛ انظر: البحرانى السيّد هاشم ، البرهان، ج٥، ص٣١٠ ـ ٣١١.
(٨٠) الطباطبائى محمّد حسين ، الميزان، ج٢٠، ص٣٩١.
(٨١) سورة آل عمران ٣: الآية ٧؛ انظر : المجلسى محمّد باقر ، بحار الأنوار، ج٦٦، ص٨٥.
(٨٢) المجلسى محمّد باقر ، بحار الأنوار، ج٧٥، ص٢٧٨.
(٨٣) وردت فى بداية سورة يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.
(٨٤) الصدوق محمّد بن على ، معانى الأخبار، ص٢٢.
(٨٥) سورة سبأ ٣٤: الآية ١٨.
(٨٦) سورة إبراهيم ١٤: الآية ٣٧.
(٨٧) الكلينى محمّد بن يعقوب ، الكافى، ج٨، ص٣١٢ ـ ٣١٣.
(٨٨) السلّمى، تفسير السلّمى، ج١، ص٢٦.
(٨٩) السلّمى، تفسير السلّمى، ج١، ص٢٦.
(٩٠) الصفّار محمّد بن الحسن ، بصائر الدرجات الكبري، ص١٧٢.
(٩١) الصفّار محمّد بن الحسن ، بصائر الدرجات، ص٣٣٩.
(٩٢) السلّمى، تفسير السلّمى، ج١، ص٢٦.
(٩٣) سورة النمل ٢٧: الآية ٦٠.
(٩٤) المجلسى محمّد باقر ، بحار الأنوار، ج٦٥، ص٢٧٧.
(٩٥) سورة الرحمن ٥٥: الآيات ١٩-٢٢.
(٩٦) البحرانى هاشم ، البرهان، ج٥، ص٢٣٣.

(۹۷) انظر: معرفة محمّد هادى ، التأويل فى مختلف المذاهب والآراء، ص۹ ـ ۱۵۱، تقوى دهاقانى سيد حسين ، روش شناسي تفسير أهل بيت، ص۲۷۴ ـ ۳۰۵، رجبى محمود ، روش تفسير قرآن، ص۸ ـ ۲۰.

(۹۸) معرفة محمّد هادى ، التأويل فى مختلف المذاهب والآراء، ص۷۴ ـ ۷۸.

(۹۹) الصدوق أبو جعفر ، الأمالى، ص۵۵.

(۱۰۰) المجلسى، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج۲، ص۲۴۵.

مصادر البحث:

١. ابن دريد، أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد الأزدي، ترتيب جمهرة اللغة، ترتيب وتصحيح: عادل البدرى، بنياد پژوهشهاي اسلامى آستان مقدس رضوي، مشهد، الطبعة الأولى، ١٣٨۶ هـ ش.

٢. بابائى، على أكبر، مكاتب تفسيرى، پژوهشكده حوزه و دانشگاه وسازمان مطالعه و تدوين كتب علوم انسانى دانشگاه ها (سمت)، چاپ اول، زمستان ١٣٨١ هـ ش.

٣. بالروين، محمّد محمّد، قواعد المنطق الصورى والرمزى ومناهج البحث العلمى، دار النهضة العربيّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

۴. البحرانى، السيّد هاشم الحسينى البحرانى، البرهان فى تفسير القران، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة، مؤسّسة البعثة، قم، الطبعة الأولى، ١۴١۶ هـ ق.

۵. تقوى دهاقانى، سيّد حسين، روش شناسى أهل بيت در تفسير، تأويل وتطبيق قرآن، با مقدمه استاد جعفرى تبار، انتشارات فرهنگ منهاج، چاپ اول، تابستان ١٣٨١ هـ ش.

۶. الذهبي، الدكتور محمّد حسين، التفسير والمفسّرون، دار إحياء التراث العربى، بيروت.

۷. رجبی محمود، روش تفسیر قرآن، مؤسسة پژوهشی حوزه و دانشگاه، قم، چاپ اول زمستان، ۱۳۸۳.

۸. الحويزى، الشيخ عبد على بن جمعة العروسى، تفسير نور الثقلين، صحّحه وعلّق عليه: السيّد هاشم الرسولى المحلاتى، مؤسّسة اسماعيليان، قم.

۹. السلّمى، تفسير السلّمى، الطبعة المعتمدة فى برنامج مكتبة أهل البيت :.

۱۰.الصدوق، أبو جعفر محمّد بن الحسين بن موسي بن بابويه القمّى، الأمالى، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة، مؤسّسة البعثة، قم، الطبعة الأولى، ۱۴۱۷ هـ ق.

۱۱. الصدوق، أبو جعفر محمّد بن الحسين بن موسي بن بابويه القمّى، عيون أخبار الرضا (ع)، صحّحه وقدم له وعلّق عليه: العلامة الشيخ حسين الأعلمى، من منشورات الأعلمى، بيروت، الطبعة الاولى، ۱۴۰۴هـ ۱۹۸۴م.

۱۲. الصفّار، أبو جعفر محمّد بن الحسن، بصائر الدرجات الكبري، تقديم وتعليق وتصحيح: الحاج ميرزا محسن كوجه باغى، منشورات الأعلمى، طهران، ۱۳۶۲ هـ ش، ۱۴۰۴ هـ ق.

۱۳. الطباطبائى، محمّد حسين، الميزان فى تفسير القرآن، منشورات جامعة المدرّسين فى الحوزة العلميّة فى قم.

۱۴. الطبرسى، أبو منصور أحمد بن على بن أبى طالب الطبرسى، الاحتجاج، تعليقات وملاحظات السيّد محمدَ باقر الخرسان، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ۱۳۸۶هـ ۱۹۶۶م.

۱۵. الطريحى، فخر الدين، مجمع البحرين، أعاد بناءه علي الطريقة المعجميّة: محمود عادل،

تحقيق: أحمد الحسيني، مكتب نشر الثقافة الإسلاميّة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ ١٣٦٧ش.

١٦. عبد الحميد، الدكتور محسن، دراسات في أصول تفسير القرآن، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

١٧. العك، الشيخ خالد عبد الرحمن، أصول التفسير وقواعده، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

١٨. عميد زنجاني، عباسعلي، مباني و روشهاي تفسير قرآن، سازمان چاپ وانتشارات وزارت فرهنگ وارشاد اسلامي، تهران، چاپ سوم، زمستان ١٣٧٣هـ ش.

١٩. الفراهيدي، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب كتاب العين، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي، تصحيح الأستاذ أسعد الطيّب، نشر: انتشارات أسوة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـق.

٢٠. القمّي، أبو الحسن على بن إبراهيم القمي، تفسير القمّي، صحّحه وعلّق عليه: السيّد طيب الموسوى الجزائرى، منشورات مكتبة الهدي، مطبعة النجف، ١٣٨٧هـ

٢١. المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، مؤسّسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـق. ١٩٨٣م.

٢٢. معرفة، محمّد هادى، التأويل في مختلف المذاهب والآراء، مركز التحقيقات والدراسات العلميّة التابع للمجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة، طهران، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

۲۳. معرفة، محمّد هادى، التفسير والمفسّرون فى ثوبه القشيب، نشر: الجامعة الرضويّة للعلوم الإسلامية، إيران، مشهد، الطبعة الثانية، ۱۴۲۵هـق، ۱۳۸۳هـ ش.